

علاج الاضطرابات النفسية بين الصحيح والتقاليد

حقيقة أشعر بألم وأسف كبير وأنا أكتب هذا الموضوع ، ليس بسبب أهميته التي لا تخفى على الجميع ولكن بسبب مآل إليه حالنا نحن المجتمعات الشرقية والعربية بوجه خاص. قد يتساءل البعض لماذا هذه المقدمة وما الغرض منها ، أقول وبسبب طبيعة عملي وأواجه يومياً كثير من الأحداث والمواقف منها المؤلم حقاً ، كيف ؟ نحن الآن في القرن الواحد والعشرين ولا نزال لا نعرف قيمة العلاج النفسي ولازال لدينا كل من يذهب الى المعالج النفسي (مجنون) ولازال الأطباء النفسانيون يكتفون بالعلاج الدوائي فقط ولا نعلم أننا في كثير من الأحيان نفقد أناساً عزيزين علينا لا يوفاتهم بل أنهم أحياء ولكن بدون حياة ، نفقد عقلهم وروحهم النفسية وكل هذا بسبب لا أقول جهلنا ولكن فتاة في ربيع عمرها تعاني من أعراض واضحة للفصام يذهب بها إلى الرقية الشرعية لتتعالج من خلالها ولمدة عامين والنتيجة إنها الآن في أسوأ صور الفصام. شاب يدخل العشرين من عمره بعد أيام يعاني من إكتئاب يذهب به ليربط بأحد المراقدين الدينية لأن عين الشر أصابته ولأن أهل الفتاة التي أحبها صابوه بالعين نتيجة لرفضهم الزواج ! وغيرها من الآف الحالات التي يأتي بعدها الأهل يتباكون على ما أصاب أبنائهم ولكن بعد فوات الأوان في كثير من الحالات لأن الاضطراب النفسي وحتى الفصام الذي يعد من أخطر الاضطرابات الذهانية يمكن علاجه إن جاء العلاج في وقت مبكر فيمكن تلافي الأسوأ بعدها.

وأحب توضيح نقاط مهمة جداً هنا أولها أنني مسلم والحمد لله وآمن بالدين وأمن بالقرآن والرقية الشرعية وأن الحسد والسحر موجودان ولا يمكن قول شيء عن عدم وجودهما ولكن يأتيني هناك فرق بين العلاج بالقرآن والربط عند الأضرحة والأدعية وقراية السيد أو الشيخ لأخراج الجن وبين وجود حالات من الاضطرابات الذهانية أو العصبية الواضحة التي لا نقاش فيها. وأضرب مثلاً عندما خاطبني أحد الأخوان بأنني لا أعالج بالقرآن فأقول الآتي ليس رداً ولكن ليفهم الجميع حقيقة الأمر : إن العلاج بالقرآن أو تلاوته أو الصلاة أو الرقية الشرعية تفيد لمن ؟ أنها تفيد للذين يكونون مختارين في أمر ما، يحتاجون الى الهدوء والراحة إلى الإستغفار لذنب عملوه لمن يخرج عن طريق الخير والصلاح عندما تصيبنا مصيبة ونجزع وغيرها هنا ندعوهم الى قراءة القرآن وكثرة الأستغفار وغيرها . ولكن وآه من هذه ال(لكن) إن تجد شخصاً يسمع أصواتاً تكلمه ويرى صوراً لإشخاص (يعني هلاوس سمعية وبصرية) ويشك بالآخرين ويعتقد أن هناك من يراقبه وغيرها من أعراض واضحة للفصام ماذا نقول له وكيف نعالجه ؟ شخص يبده بالانزعال من الناس ويرى ان لأمل بالحياة وإن حياته لا معنى لها وأنه لايرغب في عمل أي شيء ويفقد صلته بالواقع ويعيش في عالمه الخاص ويفقد أهتمامه بنفسه ومأكله يترك عمله وأهله ماذا نفعل له ؟

حقيقة وأنا أتعجب بأن هناك حتى من المختصين ممن لا يفرق بين الأرشاد النفسي والعلاج النفسي ، فالأرشاد يقدم لمن لديه وعي بالواقع ولا يعاني من حالة من حالات الاضطراب يعني مازال سويّاً

وهنا تختلف طرق الإرشاد ويمكن إستخدام تلك الطرق معه لأنه بحاجة إلى معرفة الطريق الصحيح أو الأختيار المناسب والهدوء. هل تعلمون أخواتي وأخواني سايكولوجية الصلاة أنها وببساطة تعلمنا الأسترخاء والهدوء وضبط النفس لماذا لانك في الصلاة تحتاج الى الهدوء لتعرف ماذا تقول وتقرأ وتحتاج الى بعض الحركات الهادئة لكي تسترخي وبعد الصلاة يشعر الفرد بالأرتياح لأنه قرأ القرآن ويعرف مافيه ولماذا قرأ هذه الآية وانه ركع وسجد بهدوء وبذلك خفت الحالة المتشنجة العصبية عنده، هذه سايكولوجية الصلاة أو تلاوة القرآن الكريم أو الزيارة لان الشخص هنا لايعاني من اضطراب نفسي أو عقلي بل مازال بقواه العقلية وكل ما يحتاجه هو الإرشاد بطرقه المختلفة واهم ما في ذلك الهدوء والأسترخاء لكي نفكر صح ونصل إلى القرار الصائب. أما إن كان الشخص يعاني من أعراض الأضطراب فعلينا جميعا مساعدته وأفناعه بأهمية مراجعة الطبيب وعلى الطبيب أن لا يقدم الدواء مباشرة ويعتمد عليه فقط لإن الدواء النفسي يعالج الآثار الناتجة أما الأسباب فلن يعالجها الدواء بل يقوم بذلك المعالج النفسي وكثير من الحالات النفسية الأولية والأضطرابات الوجدانية بصورتها الأولية تكون بحاجة الى معالج نفسي بقدر الحاجة إلى علاج نفسي مخفف جدا بل ونكتفي أحيانا بالعلاج النفسي بعد فترة بسيطة جدا من بدء العلاج.

أحبيتي والله أتألم عندما أرى أو أسمع شباباً بإعمار الزهور تقع ضحية لعدم فهمنا أو قناعتنا أو لتقاليد فهل نخاف ونخشى الآخرين ولا نخاف أو نخشى على من نحب ؟ الا يقول أحدنا بإنني مستعد للموت من أجل والدي أو والدتي، أبنني أو إبنتي، أخي أو أختي ، حبيبي أو حبيبتي أن أصابهم شيء يعني أنك مستعد لعمل أي شيء يغضب الله ولكنك غير مستعد لعلاجهم من مرض نفسي وترمي بسبب ذلك الى الجن والقرين أو القرينة وغيرها لماذا لانك تخاف الناس وكلامهم !! فتاة لا تتزوج ولم يتقدم أحد لخطبتها منذ فترة طويلة لأن من تقدم لها تم رفضه أول الأمر لأنه لا يملك مالاً أو شكله غير مناسب أو ما زالت صغيرة أو أن أمها مريضة وتحتاج من يراها الآن، وتصبح مكتئبة وهذا شيء طبيعي، فنقول انها القرينة تبعد كل شخص عنها وهي الان تلبستها ولا نذهب لعلاجها أو نفكر في علاجها من الأكتئاب النفسي الذي هو نتيجة متوقعة لعدم الزواج فنذهب بها الى السيد ليقراً عليها ليبعد القرينة عنها وتسوء الحالة فيقول السيد انها قرينة قوية وبعد فترة يقول اخرجت القرينة منها ولكن عمرها اصبح كبير فلاعتقد انها ستتزوج ونسال الله ان يرزقها برجل أرمل او مطلق وله اولاد يحتاج لإمرأة تحافظ عليه وعلى أولاده فنقتنع بهذا ويا سبحان الله ونبدء نبحث لها عن يريد الزواج وهو ارمل أو كبير السن أو مطلق !!! أحبتي لنترك جانباً ماقد يقوله الناس ولنبدء ننظر الى المستقبل والى من معنا نظرة إيجابية ونتمسك بديننا وبتعاليمه لكن بالطريقة الصحيحة وليس بالطريقة الخاطئة. مع أمنياتي بأن تكون رسالتي واضحة ومفهوم الغرض منها إن شاء الله.

د. وائل فاخر علي / نفساني، واستاذ جامعي